القضايا اللسانية و الدلالية للترجمة الأدبية بين اللغتين العربية و الفرنسية

د. الجوهـــر خالـف جامعة مولود معمري - تيزي وزو

Résumé

Nous proposons dans le présent article une étude axée sur la traduction de la littérature et les difficultés qu'elle pose au praticien notamment sur les plans linguistique, sémantique et stylistique. La problématique soulevée est de nature à interpeller le traducteur sur les théories/approches à même de l'aider à réaliser une traduction satisfaisante avec un minimum de sacrifices ayant trait au sens ou bien au style du texte original.

La méthodologie suivie se veut descriptive et analytique d'un ensemble d'éléments cristallisant l'acte de traduire la littérature en tant qu'activité créative.

Constatant que la traduction de textes aussi profonds que le roman, le conte, le poème, etc., fondamentalement basés sur la fonction esthétique, ne peut se faire sans entraver la fluidité précaire de leur transfert en une autre langue, l'intérêt de porter l'attention sur leur nature même ainsi que sur les niveaux de difficulté qu'ils posent nous ait paru essentiel.

Aussi, en partant de la mise en relation de la traduction littéraire avec les courants théoriques les plus pertinents, nous nous pencherons sur l'examen des difficultés des langues relevant de la phonétique, grammaire, lexique, sens... en passant par les défis stylistiques pour déboucher sur l'apport de la linguistique textuelle d'après De Beaugrande et Dressler (1981) à travers l'exposé de leurs fameux critères de la textualité.

Mots-clé

Traduction littéraire ; théorie du polysystème ; linguistique textuelle ; sens ; style, typologie des textes, critères de la textualité.

مقدّمـــــة

حين تتم الإ شارة أثناء الحديث أو الدرا سة إلى الترجمة بـ صفة عامة، فالأرجح أن يكون التفكير منصّبا حول الترجمة الأدبية، ذلك أنّ هذا النوع هو الذي يقدّم أكبر كمية من الترجمات المنشورة في العالم كّله.[21] فكيف يمكن حدُّها؟

تقول بصافي (2003) إنّ الترجمة الأدبية عملية تعاون تعاطفي يغلب عليها الطابع الذاتي و حرية التصـرف، مسـتدعية و مسـتوجبة إلماما واسـعا باللغتين المترجم منها و المترجم إليها، بالإ ضافة إلى معرفة آدابها و ثقافتها كما تـ سعى في الوقت نفـ سه إلى تـ حقيق هدف جمالي مع محاولة إعطاء صورة أمينة للمعاني و الأبعاد الكائنة في النص الأصلي. [3]

غير أنّ المـشكل الأ ساسي المطروح على بـ ساط البحث في الترجمة الأدبية هو :كيف نـ صل إلى ترجمة سليمة و جيدة بأقل تضحيات ممكنة؟

1. الترجمة الأدبية و نظرية النّسق المتعدّد

من الصـعب أن يكتفي المترجم الأدبي بإيصـال المعنى فقط، دون أن يسـعى إلى إبلاغ الشـكل و الإيقاع و الأسـلوب بل حتى الرنين الداخلي للنص أحيانا ، تلك هي العوامل التي تُثبت الجانب الفني للترجمة و التي يحدّد التوفيق في نقلها مدى الإبداع الذي يتمتع به المُترجم و هنا بيت القصيد.

والترجمة الأدبية تُعنى تعريفا بنـ صوص تنتمي إلى مجال العلوم الإنـ سانية التي تُعرف بغرابة صـياغتها، و هذه الغرابة هي التي تسـترعي انتباه القارئ لأنها تنبثق من تفرّد المؤلف الأدبي و من نظرته المميزة إلى ما يصـفه و من اللون الخاص الذي يضـفي على النص كل نكهته، فمجموع هذه الأمور هو ما يشكّل الخطّ الواصل بل لُبّ العمل أثناء ترجمة الأدب.

و على هذا الأ ساس، يتبين أنّ الترجمة الأدبية، على عكس أ صناف الترجمة الأخرى هي نقل إبداع أصيل تتحكم فيه مقاييس جمالية و ليس فقط مقاييس وظيفية أو لسانية خالصة و هذا ما يولد صعوبة في المزج بين الدقة اللسانية و الحرية الفنية بشكل منسجم، قد تحفّـــز المترجم كما أنها قد تُحبطه نتيجة عدم قدرته على احترام تناسق الأساليب و العلاقة العضوية بين المضمون و الشكل لكون فنية العمل الأدبي

و طريقة تداخل مختلف مستوياته جزأين لا يتجزآن من المضمون.

و لا شـكّ أنّ أكثر النظريات اهتماما بالترجمة الأدبية هي نظرية النسـق المتعدد في الترجمة (La Théorie du polysystème) التي تندرج ضمن النظريات الوظائفية للترجمة (Les Théories fonctionnelles de la traduction) و التي يرى أصحابها من أمثال إيفن – زهير Even-Zohar [4] أنّ الترجمة الأدبية على وجه الخـصوص ليـست معزولة عن النظام الأدبي الذي

هو عبارة عن منظومة مهام تربطها علاقات متواصلة من الأنظمة الأخرى . بمعنى أنّ الأدب المترجَم هو جزء من النظام الثقافي و الأدبي و التاريخي في اللغة الهدف [5].

و يضيف إيفن – زهير مؤكّدًا أنّ الأدب المترجم يتم كنظام حسب الطريقة التي تختار فيها اللغة الهدف الأعمال المراد ترجمتها، و حسب الطريقة التي تتأثر فيها أعراف الترجمة و منهجيتها و تقنياتها بالأنظمة الأخرى المشاركة لها في العلاقة . و عليه، فإنّ المعايير الاجتماعية و العادات الأدبية الراسخة في الثقافة الهدف تتحكّم في افتراضات المترجِم الجمالية (Les présuppositions esthétiques) و بالتالي، فهي تؤثر لا محالة في تتابع القرارات الترجمية [6].

نستنتج إذن أنّ الترجمة الأدبية معرفة و ممارسة، ميدانها ليس يسيرا، فقد يتفوق فيه البعض و يكبو البعض الآخر. و إذا كان الاعتقاد السائد هو أنّ الأدب المترجَم يعاني الخسران و النقصان في جوانب شتى من خصائصه الفريدة، فنحن نرى أنّ هناك ربحا و كسبًا للأدب خلال عملية الترجمة. فالترجمة و نقدها يُعزّزان فهم الأدب و تقييمه كما أنهما يُعَدّان وحدة ضرورية لدراسته دراسة جادّة، فلو لا الترجمة لما استطاعت الآداب بناء أمجادها الأدبية و غزو العالم.

و إنّ ما يجعل الصعوبة مُلازمة للترجمة الأدبية هي أساسًا القضايا اللسانية و الثقافية التي ترتبط بها ارتباطا وثيقا و التي حملت العديد من الباحثين على التصريح بتعذُّرها لأنّ المُترجم الذي يخوض في غمارها دائم التأرجح بين مُحاكاة النص الأصلي و إبداع نصّ ثان، مِمّا قد ينتج تشويها و إرهاصات بسبب عدم التكافؤ الحاصل بين الطرفين . و كل انحراف أو مجازفة أو سوء اختيار قد يتمخّض عنهم زعزعة كيان و خصائص أدب الطرف الآخر، و هذا ما يبدو جليا في أدب الحكاية لما يتعرَّض له من تغيير و تعديل قد يصلان إلى درجة التكييف.

يبدو إذن من الضروري استطلاع هذه المحاور الأساسية التي من شأنها أن تسّلط الأضواء الكاشفة على قضايا ترجمة النصوص الأدبية، و هذا ما نقترح دراسته في العنوان الموالي الذي أردنا فيه أن نُبين لمن يتخيل أنّ الترجمة الأدبية " سهلة " لكونها غير متخصصة أنّه يخبط خبط عشواء، و لمن يعتقد أنها رهان مستحيل، فالترجمة بطبيعتها تتمسك بالرهان الذي يهلّل به المُمارِس الفّنان و يبتهج.

2. القضايا اللسانية للترجمة الأدبية

تطرح ترجمة النصوص الأدبية بشتى أجناسها مشكلات عويصة على مستوى اللسانيات نظرا لاختلاف اللسان البشري من حيث المعجم و النحو و الدلالة و الصرف و الأسلوب ...، و هي عوامل بالغة الأهمية في عملية التواصل كما أنّ نبض الحرف و حُسن القول يبعثان الروح في الأدب و يُحدِثان ذلك الوقع الذي يميزه في جميع اللغات التي يُكتب فيها.

فلنُعرج الآن عن هذه القضايا من خلال مستويات اللغة (Niveaux de langue) و بعض الأمثلة البارزة:

1.2 على المستوى الصوتي

يكون الاختلاف بين اللغات على المستوى الصوتي في المُصوِّتات (Voyelles) و الصَّوامت (Consonnes) فإذا كان العربي ينطق هاء" شهرزاد"، فإنّ الفرنسي لا ينطقه" هاء "و لا" حاء"، لا في Schéhérazade، و لا في جميع الأسماء التي تبدأ بحرف H

يلعب المحيط الاجتماعي و التموقع الجغرافي دورا هاما في اختلاف نطق الأفراد حتى للحرف نفسه، و هذه الفوارق في الأصوات تنعكس سلبا على عملية الترجمة، بحيث تقف عقبة في تحقيق موسيقية النص و اتزانه النغمي اللذين يُكرسان الأثر الجمالي في اللّغة المنقول إليها إذ تصعب مثلا ترجمة الجملة الفرنسية: Pour qui sont ces serpents qui sifflent sur vos têtes ? إلى اللغة العربية مع الحفاظ على الإيقاع الذي يُحدثه تواتر الصوت /S/.

إنّ هذه المسألة تبدو جليًّا عند ترجمة الشعر العربي إلى اللغة الفرنسية مثلا ، حيث لا يُمكن الإبقاء على الوزن و القافية، و هنا نتوقع حدوث خسارة في الترجمة.

2.2 على المستوى النحوي

يُعدُّ عدم وجود تكافؤ تام بين اللغات على المستوى النحوي مشكلاً ترجميا قد يؤدي إلى ضياع المعنى الذي يحمله مقطع اللغة المنقولة عند محاولة تعويضه بمعنى مُقوْلَب في تقسيم نحوي مغاير للغة المنقول إليها. و يتجسد النظام النحوي المختلف بين اللغة العربية و الفرنسية في تبايُن تقسيمهما للخطاب و ترتيبهما للكلام، فبينما تميز اللغة العربية بين الجملة الاسمية و الفعلية و شبه الجملة، لا تعرف اللغة الفرنسية إلا الجملة الفعلية بالرغم من ابتدائها دائما باسم . و المشكل عند ترجمة الجملة الفعلية من الفرنسية بجملة اسمية في العربية هو ضياع عامل الزمن الذي لا تقترن به الجملة الاسمية باعتبارها تدل على الدوام.

انعدام الجنس و العدد من بعض الألفاظ الفرنسية بما فيها الضمائر هو مشكل نحوي آخر أثناء الترجمة بين العربية و الفرنسية، فترجمة الضمير Vous قد تكون بـِ "أنت "أو" أنت "أو "أنتما "المثنى المذكر أو" أنتما " للمثنى المؤنث أو" أنتم" أو" أنتن" . لذا، واجتنابا لوقوع الالتباس، يحبذ دائما إضافة وحدات معجمية للتوضيح.

3.2 على المستوى المعجمي

و قد يقع المترجم على المستوى المعجمي في فخّ المفردات بسبب الشساعة و الصفة العامة التي يمكن أن تكتسبها، فاللغة العربية تبني ألفاظها على الحركة، مثل:

بِرٌّ ← أرض، بِرٌّ ← قمح ، بِرٌّ ← خَيْر

و هذه الظاهرة تؤدي إلى تغيير المعنى المعجمي. كذلك يجد المُترجم صعوبات عندما يحصل التداخل فيما بين اللغات في حال تطابق لفظين صوريا، و هو ما يُعرف بالأصدقاء المُزيَّفين (Les Faux amis)

أو في حال توفر عدة مكافئات لكلمة واحدة و مثال ذلك لفظ Bois باللغة الفرنسية الذي يمكن ترجمته إلى اللغة العربية بـ" خشب "أو" حطب "أو" غابة"، و لفظ " مدير " باللغة العربية الذي يُترجم إلى اللغة الفرنسية بـ: directeur ، impresario، régisseur ، proviseur، gérant ، chef،censeur

و بالتالي، لا تكون المفردة مستقيمة المعنى لوحدها، إنّما ضمن السياق المباشر و العام اللذان توجد فيهما، كما تحمل الألفاظ في طياتها معاني صوصيوثقافية و معالم البيئة اللسانية و الميتالسانية التي أولدتها.

4.2 على المستوى الصرفي

يشكّل المستوى الصرفي للغات معضلة في الترجمة الأدبية باعتبار الأزمنة التي يتفاوت عددها من لغة إلى أخرى ناهيك عن كيفية استعمالها و مشكلة توافقها (Concordance des temps) التي لا ينجح في تجاوزها إلا المُحنك من المترجمين، فإذا كان زمن الماضي مثلا في اللغة العربية يندرج في إطار المنقطع (passé accompli)، فإنّه في اللغة الفرنسية يشمل أكثر من زمن: passé simple

passé antérieur ، imparfait ، passé composé ... و تتغير قيمته في كل مرة.

و هكذا تكون ترجمة فعل مُصرَّف في زمن l'imparfait بإسناد الفعل الماضي الناقص "كان" إلى الفعل المضارع : (il disait كان يقول)، غير أنَّ هذا العجز البنيوي قد يؤدي إلى ركاكة في التعبير أو إلى إخلال بالمعنى و صيرورة الأحداث في النصوص الأدبية خصوصا.

3. القضايا الدلالية

إذا كان التحكُّم في قواعد اللغة المنقولة و اللغة المنقول إليها من أبجديات الترجمة، فإنَّ إيصال المعنى هو روحها. و لبلوغ هذه الغاية القصوى، يعمل المُترجِم على الفهم الكلي و الجيّد للعلاقات الدلالية (liens sémantiques) التي تُنسَج في النص الأصلي من خلال ترابط الألفاظ فيما بينها على شكل حقل معجمي (champ lexical) أو حقل دلالي (champ sémantique) أو متلازمات لفظية (collocations) أو تعدُّد في المعاني

(polysémie) أو دلالة إيحائية (connotation) تتفاعل داخل شبكة تُحدِث نوعًا من الصدى الذي يؤدي الأثر الإجمالي للنص.

و بشأن الكلمة ذات الدلالة الإيحائية تقول ويلمارWUILMART:

" Le mot connoté est redoutable, car il rayonne dans un certain sens, voulu par l'auteur, créant un effet précis. "[7]

أي إنّ المعنى الخاص الذي يضاف لمعنى الكلمة المعتاد هو معنى قَصَده المؤلف لخلق أثر معيّن، لذلك تُعَدّ الكلمة ذات الدلالة الإيحائية عدُوّ المترجم.

تعود صعوبة علم الدلالة في الترجمة الأدبية إلى الجانب الذاتي السائد فيها لكونها متعلقة بعوامل عاطفية أي لغوية من جهة، و بعوامل اجتماعية بل إثنوغرافية على حدّ قول نيدا Nida[8] من جهة أخرى.

و تبقى عملية تحديد المعاني و دلالة الألفاظ متوقفة على المعرفة اللسانية و المعرفة الموسوعية للغة و مراعاة السياق الذي ترد فيه و الوضع التواصلي (Instance d'énonciation) لأنّ عدم معرفة عناصر التواصل و الأوضاع التي تؤدي بالأشخاص إلى النطق بالألفاظ تمنع عملية الترجمة، فالخبرة غير كافية دائما لفكّ الغموض، إذ يجد المترجم نفسه في بعض الأحيان في طريق مسدُودة بحيث لا يُمكنه أن يتأكّد تأكُّدا جازمًا من أنه تمَكَّن من نقل المعنى المُراد من لغة إلى لغة أخرى.

4. تحدّيات الأسلوب

تقتضي عملية الترجمة هندسة الجملة و إعادة ترتيبها في اللغة المنقول إليها و السير على منوال هذه اللغة قصد الإفهام الصحيح، فيضطر المترجم إلى تقديم بعض المقاطع و تأخيرها، و هذه الأمور تقع على المستوى الأسلوبي للغة.

و يُعتبر الأسلوب عاملا أساسيا في ترجمة الأدب لأنه يُنمي عنصر التشويق في النص الذي يضفي عليه رونقا و جمالا فريدين و يساهم في إنجاح مهمة المترجم الأدبي.

تزخر اللغات بإمكانيات و وسائل أسلوبية متنوعة، على المترجم معرفتها و التفطن لكيفيات و طرائق استعمالها بغية صيانة أسلوبه، و من بين هذه الوسائل : الوسائل النحوية .

و لتكن في اللغة الفرنسية الجملة التالية:

Une princesse vit dans le plus beau des châteaux.

يمكن تحقيق أثر شعري انطلاقا من هذه الجملة النثرية العادية و ذلك بوضع جملة ظرف المكان (Complément circonstanciel de lieu) في البداية و بتقديم الفعل على الفاعل، فنقول:

Dans le plus beau des châteaux, vit une princesse.

نلاحظ أنّ أسلوب هذه الجملة أرقى من أسلوب سابقتها كما أنّ التعديلات التي أجريت عليها تجوز تماما في قواعد اللغة الفرنسية.

5. لسانيات النصوص و الترجمة

تبيّنت حصافة لسانيات النصوص في التطبيق الترجمي بسبب دعوتها إلى ضرورة تجاوز حدود التحليل النحوي للجملة الذي كان يميّز اللسانيات الكلاسيكية و الوصول إلى وحدة أكبر تتمثل في النص كحدث تبليغي يمّثل وحدة معنوية و دلالية. هكذا نشأت العلاقة بين لسانيات النصوص و الترجمة عن عدم الاقتناع بالمنهج التقليدي لدراسة اللغة المعتمد على معيار جزئي " كلمة – عبارة – جملة " ليّتسع مجال اهتمامها و يشمل دراسة النص و ظروف إنتاجه و أسبابه و القيمة التي يحملها و مدى تأثيره على المتلقي.

و تقوم لسانيات النصوص من المنظور الترجمي على دعامتين أساسيتين، أولهما البلاغة باعتبارها أقدم الدراسات في المجال الأدبي، حيث تتيح التمييز بين النصوص و اختيار أفضلها، و ثانيهما الأسلوبية التي تهتم بصواب الخطاب و جانبه الجمالي. وهي تتخذ النص كمادتها الأساسية باعتباره وحدة لغوية أهّم ما يميزها هو بعدها الاتصالي التبليغي كونها تختزن الأفكار و التراكيب و الوظائف لأغراض توصيلية متباينة و متنوعة. و بما أنّ النص مُوَجّه إلى فئات مختلفة من القرّاء، كان عينة مثالية للدّراسة بربطه بعوامل غير لسانية كالثقافة و البيئة لأنّ كلّ نصّ هو انعكاس لثقافة و بيئة مؤلفه.

و بذلك، مكّنت لسانيات النصوص من اكتشاف العلاقة بين الجواب التراكيبية و الدلالية للنص من منطلق أنّ الشكل هو أداة النص في توصيل الأفكار و التبليغ، كما أنّها تهتم بوصف الوحدات اللغوية التي يتعيّن أن تكون ذات قيمة اتصالية.

و من أبرز الدراسات التي صدرت في هذا المجال باللغة الإنجليزية Introduction to Textlinguistics "مدخل إلى لسانيات النصوص" سنة 1981 للسانيين الأمريكيين دو بوغراند De Beaugrande و درسلر Dressler ، بحيث يعدّ مرجعا أساسيا في كلتي لسانيات النص و نظرية الترجمة لكونه أقام العلاقة بينهما من خلال إجابته على عدد من تساؤلات الباحثين في نظرية الترجمة و جعَلَهم يتطلعون إلى طرائق تفيدهم في تحليل نص المتن كمرحلة أولى أساسية في ترجمته. فلم يعد المترجم يكتفي بفهم النواحي التراكيبية للنص، بل يسعى إلى اكتشاف العلاقات المترابطة القائمة بين الجوانب الدلالية التي تجعل النص متميزا عن باقي النصوص بفضل المعلومات التي يحملها، و الجوانب النحوية و هي قواعد تشترك فيها جميع النصوص، و الوظيفة التبليغية لهذا النص.

و من هنا أضحت الترجمة حدثا يحدّده النص و يرتبط وجودها به، و تعرّفها بيوض (2003) من هذه الزاوية على أنّها " أسلوب يؤدي انطلاقا من نص لغة المتن المكتوب، إلى نص في

اللغة المستهدفة على أكبر قدر من التكافؤ، و هو يتطلب من المترجم الاستيعاب التام للنواحي التراكيبية و الدلالية و الأسلوبية و البراغماتية النصية للنص الأصلي" [9]

و بما أنّ كل نص يتميّز بوظيفة أو بعدّة وظائف تواصلية أساسية، يمكن تصنيف النصوص على شكل أنماط، و بالتالي تحديد مناهج و أساليب النقل الخاصة بكلّ نمط و كذلك تحديد معايير التكافؤ الترجمي لها [10].

و لقد اجتهد اللسانيون و منظّرو الترجمة في إقامة عدة تصنيفات للنصوص لتسهيل عملية ترجمتها، فالبعض منهم قام بتصنيف النصوص حسب وظائفها، و هذا ما ذهبت إليه الباحثة الألمانية كاترينا رايس Katharina Reiss [11] في مقاربتها المعروفة بصنافة النصوص La Typologie des textes المُمهّدة للنظرية اللغائية في الترجمة (La skopos théorie) التي تنصّ على أنّ أهم العوامل المحدِّدَة لهدف الترجمة هو المتلقي المعني أصلا بقراءة الترجمة في اللغة الهدف إلى جانب الخصائص المنفردة لثقافته و تطلعاته و حاجاته الخطابية. فالمبدأ الأساسي لعملية الترجمة هو هدفها الذي يمكن تقسيمه إلى الهدف الرئيس و الهدف الخطابي و الهدف الأسلوبي في الترجمة، حيث تمّ تفسير ما هو المقصود من مصطلحات الهدف (aim) التي يضمها المصطلح اليوناني Skopos كنتيجة نهائية، و الغرض (purpose) كمرحلة انتقالية تساهم في تحقيق الهدف المنشود، و القصد (intention) كخطة للوصول إلى الهدف، و الوظيفة (function) التي تشير إلى ما يهدف النص إليه من معنى من وجهة نظر المتلقي مقارنة مع هدف النص من وجهة نظر المترجم /المؤلف.

فهذه النظرية تجعل من القارئ المتلقي هدفا رئيسا يشكِّل الهاجس الأساسي للمترجم طيلة عملية الترجمة .و لقد اعتمدت رايس على الوظيفة التمثيلية و التعبيرية و الإثارية في وضع تصنيف للنصوص المفيدة للمترجم أثناء العملية الترجمية و هو كالتالي:

- **النصوص الإخبارية :Textes informatifs**

تهدف إلى تقديم المعلومات للإخبار و الإعلام.

-**النصوص الجمالية :Textes esthétiques**

الهدف منها هو التعبير الجمالي الفني حيث يُركَّز فيها على المرسِل (l'émetteur)

-**النصوص الإثارية : Textes appellatifs**

ترتكز على المتلقي و الهدف منها هو إثارة المشاعر و ردود الفعل ذاتها لدى متلقي النص الأصلي.

و ترى رايس أنّ كل نص من هذه النصوص يبعث على استراتيجية خاصة للترجمة، و المدخل إلى دراسة الترجمة ينطلق من صنافة النصوص التي تأخذ بعين الاعتبار الجوانب الأسلوبية و متلقي النصّ.

و لكن دراسات ماري سنيل هورنبي Mary SNELL-HORNBY في الترجمة أسفرت عن صرامة و ميكانيكية مقاربة رايـــس في المنطلقات و الاستنتاجات. و عليه، فهي تقترح عوضا عن صنافة النصوص النموذج الأصلي (La prototypologie)، و هو نظام ديناميكي يركّـــــز على النموذج الأمثل و يتيح نوعا من المرونة و التداخل للنصوص على حدّ قول الباحثة:

« ...the rigid typology of the objectivist and reductionist tradition will therefore be replaced by the prototypology, a dynamic gestalt-like system of relationships, whereby the various headings represent an idealized prototypical focus and the grid-system gives way to blurred edges and overlappings.» [12]

كما تؤكّد الباحثة أنّ الترجمة حدث عابر للثقافات، و هي جزء من التواصل العابر للثقافات، و التواصل حدث يتقاسم فيه الناس عالمهم الفكري مع آخرين، مضيفة إنّ رؤى علم الترجمة المستقبلية تهدف إلى اعتماد المنهج المدمج The Integrated Approach الذي تتداخل فيه اللغة و الثقافة و الأدب ليتـــــــشكّل نسيج فريد خاصيته الحركة التقدمية الفاعلة في خضم المستجدات الكونية مع التركيز على القارئ المتلقي[13].

أمّا إذا عُدنا إلى اللسانييْن دو بوغراند و درسلر، فنجدهما يصنّفان النصوص إلى نوعين:

- نصوص خفية : Textes couverts

و هي النصـــوص التي لا تظهر بكاملها لأنها تحتوي على معاني ضـمنية لا يمكن النفاذ إليها أو إدراك القصد منها بالاعتماد على الرموز اللغوية فقط، فيلجأ المتلقي إلى التأويل.

- نصوص ظاهرة : Textes apparents

و هي النصـــوص العادية التي يمكن فهمها من خلال العلاقات التراكيبية و الدلالية التي تربط بين رموزها اللغوية.

إنّ تحديد وظائف النص و تصنيفه يساعد المترجم على تحديد منهج الترجمة و الأسلوب الذي يتبعه، فهو يعلم أنّ النص الأدبي يحتوي على معاني عاطفية و خيالية و عليه، فإنه يحرص عند نقلها إلى لغة أخرى على اختيار النسـق الأمثل في التعبير اللسـاني حتى يتفادى الخسارة في المعنى، أما إذا كان النص تعليميا أو علميا، فإنه يعرف أنّ توارد مثل تلك المعاني سيكون نادرا بل منعدما في أغلب الأحيان.

و قد أثبتت الدراسات أنّ النصوص ليست على وتيرة واحدة، فمنها المكتوبة ومنها الشفوية، كما أنّ طولها و درجة التعقيد فيها مختلفان، إذ توجد نصوص قصيرة و أخرى طويلة، و نصوص بسيطة و أخرى معقدة تتضمن بدورها نصوصا فرعية و تحمل وظائف مختلفة ، و قد يقصد لنص ما أن يحمل وظائف ثانوية تسَند إلى وظيفته الأساسية. و كل هذه الأمور بيّنتْ ضرورة تحديد الخصائص المشتركة بين النصوص جميعها، مّثّـــلها دو بوغراند و درسلر في المعايير النصية السبعة.

1.5 المعايير النصية

لقد اقترح دو بوغراند و درسلر سبعة معايير من شأنها التمييز بين ما هو " نص " ذو بعد تبليغي و تواصلي، و ما هو " لا نص " أي غير تبليغي و لا يفي بغرض الاتصال. و النص كحدث تواصلي تتحقق نصيته إذا اجتمعت له المعايير السبعة و هي :الاتساق و التماسك التي تتعلق بالنص ذاته، المقصودية و المقبولية و الاطلاعية و الموقفية و التناص التي تتعلق بمرسل النص ومتلقيه، حيث إذا نقص معيار واحد، أصبح النص مجرد مجموعة كلمات أو أصوات و فقد هدفه.

1.1.5 الاتساق Cohésion

يكمن الاتساق في الطرائق التي ترتبط بها عناصر النص السطحية في الجملة. و يُقصد به خضوع النص للقواعد النحوية المتعارف عليها في لغة ما، حيث يتم الربط بين الجمل و الأفكار بأدوات و ضمائر يمكن من خلالها بناء وحدة دلالية في النص.

و يخصّ الاتساق حسب دو بوغراند و درسلر الطرائق التي تترابط بها عناصر النص السطحية في مقطع ما و يعتمد مثل هذا الترابط على العلاقات النحوية. و للتمثيل لهذا المعيار، نستحضر إحدى لافتات المرور "*Attention. Sortie d'Engins* " أي: **تمهل، خروج الشاحنات**. إنّ هذه الجملة تحقّق الاتساق نظرا لاحترامها قواعد النحو الفرنسي لبناء الجُمَل، إلا أنّ مجرد تشويش و تغيير لمواقع عناصرها كأن نقول مثلا: *d'Engin Attention Sortie* ، يجعل منها جملة غير مفهومة و إشارة غير صالحة للاستعمال.

يميّز هاليدي [14] HALLIDAY و حسن HASSAN بين خمسة أنماط من الاتساق:

- **الإسناد** La référence : يفيد في تحديد العلاقة بين وحدتين لسانيتين و هي الضمائر المساعدة على تحديد الجنس و النوع و أسماء الإشارة...
- **التعويض** La substitution : و هو تعويض وحدة لغوية بأخرى كالمرادفات.
- **الحذف** L'ellipse : يمكن حذف إحدى الوحدات من النص دون تغيير معناه أو الإخلال بفهمه لاجتناب التكرار مثلا.
- **الربط** La conjonction : كاستعمال حروف العطف للربط في النص.
- **الاتساق المعجمي** La cohésion lexicale : يقصد به تنظيم المفردات في النص كالعبارات العامة مثل : en général أي: و عموما...

إنّ الاتساق يساعد في الوصول إلى ترابط منطقي و تسلسل زمني للأحداث في النص.

2.1.5 التماسك Cohérence

يقصد بالتماسك أن يكون النص مترابطا من حيث المعاني و الأفكار الواردة فيه. و يرى دو بوغراند و درسلر أنّ ترابط النص نحويا لا يعني بالضرورة ترابطه من حيث الأفكار، إنّما يتحقق التماسك بواسطة التفاعل المستمر للمعرفة التي يقدّمها النص مع المعرفة السابقة بالعالم. و يبدو اختلاف التماسك عن الاتساق جليا في المثال التالي:

J'ai pris ma tasse de café, je me suis levé et je me suis réveillé

أي: تناولت فنجان قهوتي و نهضت من الفراش و استيقظت

نلاحظ أنّ الاتساق محقَّق نظرا لخضوع الجملة لجميع قواعد النحو الفرنسي المتعارف عليه فتمّ ترابط عناصرها إلّا أنّ التماسك غائب فيها ذلك أنّ معرفتنا بالواقع هي أنّ الإنسان يستيقظ أولا قبل أن ينهض من فراشه و أن يتناول القهوة.

3.1.5 المقصودية Intentionalité

تتعلق المقصودية بمنتج النص و نيته و الهدف من إنتاجه لذلك النص. و تؤخذ المقصودية بعين الاعتبار علاوة على الاتساق و التماسك لأنها تخص تصرّف منتج النص، بحيث يجب أن تشكل مجموعة الأحداث في النص وسائلا لتحقيق مقاصده. كما ينبغي على منتج النص أن يأخذ بعين الاعتبار متلقي النص و الوضع الذي يتواجد فيه، فيكون واضحا في الغاية التي يبلّغها و الفائدة التي يتوخّاها حتى يجعله يتقبّل النص.

و في هذا المضمار، يفنّد أومبيرتو إيكو Umberto ECO فكرة عدم وجود المقصودية في الأعمال الأدبية التي شاعت في عصرنا الحالي من مبدأ أنه يمكننا فعل ما نشاؤه بالعمل الأدبي و أن نقرأ فيه كلّ ما تقترحه مكبوتاتنا علينا. صحيح أنّ النصوص الأدبية تتيح حرية في التأويل لأنها تعرض خطابا للقراءة على مستويات متعددة فتضعنا أمام غموض اللغة و غموض الحياة ولكنها تلزمنا بالأمانة والاحترام العميق لمقصود النص.

« La lecture des œuvres littéraires nous oblige à un exercice de fidélité et de respect dans la liberté de l'interprétation. Il existe une dangereuse hérésie critique, typique de notre époque, selon laquelle on peut faire ce que l'on veut d'une œuvre littéraire, et y lire tout ce que nos impulsions les plus incontrôlables nous suggèrent. Ce n'est pas vrai. Les œuvres littéraires nous invitent à la liberté de l'interprétation, parce qu'elles nous proposent un discours à niveaux de lecture multiples et nous placent face à l'ambiguïté et du langage et de la vie. Mais pour avancer dans ce jeu, où chaque génération lit les œuvres littéraires de façon différente, il faut être mû par un profond respect envers ce que j'ai appelé ailleurs l'intention du texte. » [15]

4.1.5 الاطلاعية Informativité

إنّ غاية كلّ نص هي تقديم بعض المعلومات لقارئيه أو سامعيه. و تختلف هذه المعلومات من حيث كميتها حسب نوع النّص و طبيعته، فتكثر في النصوص العلمية إذ يسهب منتجها في التفاصيل و دقائق الأمور بغية التوضيح و إزالة الغموض، بينما تقلّ في النصوص الأدبية، و تصل المعلومات إلى أدنى مستوياتها حين يكون النص قصيدة شعرية جيدة، لأنّ القصيدة الشعرية قد تقوم على فكرة تتضمّنها كلمة واحدة أو عبارة واحدة و يكون ما في القصيدة مجرّد إثراء للفكرة الأساسية.

إذن فكمية المعلومات ليست مرتبطة بعدد الكلمات أو بأية رموز أخرى ، بل يمكن لنص قصير أن ينقل معلومات أكثر من نص طويل. و بشأن النص الأدبي، فإنه يحتوي على أفكار موجزة لكنها تضمّ معان تؤثر على المتلقي و تترك في نفسه انطباعات تتجاوز عدد الكلمات المستعملة في الخطاب.

5.1.5 الموقفية Situationalité

الموقفية هي أن يكون النص مطابقا لمقتضى الحال. و لقد كان العرب على وعي تام بأهمية الموقف و ضرورة مطابقة الكلام له لنجاح عملية التواصل، فعنهم يقول ابن خلدون في مقدمته: " ... فإنّ كلامهم واسع، و لكل مقام عندهم مقال يختص به بعد كمال الإعراب و الإبانة " [16]

و المقام هو جملة الشروط التي تمّ فيها إنتاج القول و التي تكون خارجة عن ذاك القول ذاته. أمّا المقال أو القول بصفة عامة، فهو وليد قصْدٍ معيّن و يستمد وجوده من شخصية المرسل و المتلقي و البيئة الزّمكانية التي يصدر فيها، فاجتماع كلّ هذه العناصر المساهمة في إنجاز القول تمثل المقام.

إنّ تلاؤم النص مع الموقف و طبيعة متلقي الخطاب أمر ضروري، بحيث لا ينبغي أن يتنافى مع أعرافه و ثقافته و تقاليده قصد الإبقاء على مصداقية الكلام.

يمكن إبراز دور الموقفية في حسن الفهم من خلال المثال الذي سُقناه في معيار الاتساق، فتواجد هذه اللافتة "*Attention. Sortie d'Engins* " على حافّة الطريق يدلّ على أنّها مُوَجّهة للسائقين، و الموقف هو سيرهم بسرعة لذلك، فالقصد من كلمة *Attention* أي: **حذار** هو التنبيه لتخفيض السرعة. و بالتالي، يتضح أنّ اللافتة لا توحي بشيء بالنسبة للراجلين الذين يقصيهم الموقف تلقائيا.

6.1.5 المقبولية Acceptabilité

تعنى المقبولية بمتلقي النص و موقفه و مدى قبوله للنص، فلا يشعر أنّ فيه قصورا أو نقصا أو تشويها أو أنه يفتقد إلى أيّ معيار من المعايير الأساسية لبناء النص، لاسيما الاتساق و التماسك لأنّ غيابهما يضع المتلقي أمام صعوبة استيعاب التسلسل المنطقي لنصّه و ربطه بالواقع الذي يحيط به.

7.1.5 التناص Intertextualité

ينشأ التناص عن قراءة مختلف أنواع النصوص التي تساعد على تأليف نصوص جديدة و على فهم نصوص نسمعها أو نقرؤها لأول مرة. و يرى دو بوغراند و درسلر أنّ التناص هو مجموع الطرائق التي يتوقف فيها إنتاج نص أو تلقيه على معرفة المشاركين بنصوص أخرى.

و لقد أوضحت لسانيات النصوص بصورة جليّة أنّ النّصوص لا تختلف عن بعضها البعض على مستوى الشفرات اللسانية فحسب، بل هي تختلف في طبيعة المعلومات التي تحملها و المواقف التي تُعبّر عنها أو القيم الأسلوبية التي تمثّلها فضلا عن الغرض التبليغي الذي تخدمه.

و التناص هو علاقة نص معيّن بنصوص أخرى تشاركه الخصائص و العوامل نفسها، تلك التي تسمح للقارئ بالتعرّف في نصّ جديد على ميزات نصوص أخرى صادفها قبلا، ذلك أنّ النصوص لا تكون أصلية في مجملها، كما لا تخُصّ أفكارها كاتبًا دون آخر، إنّما تتحكّم في صياغتها عوامل مثل النوع الذي تنتمي إليه. و كثيرا ما نعتقد أنّ كلّ نصّ ما هو إلاّ تكرار لنصّ سابق مع مجرّد اختلاف في اللغة أو المقام، إلّا أنّ الغاية هي كيفية تسخير التجربة المكتسبة عن القراءة و استغلالها في تأليف وشرح نص جديد يختلف عن سابقه من حيث المعلومات التي يقدّمها و الغرض التبليغي الذي يصبو إليه كاتبه.

الخاتمـــة

نستنتج عمومًا من هذا البحث في أهمّ القضايا اللسانية و الدلالية التي تطبع المسار الترجمي للأدب، أنه لا بُدّ من اللغة لاستيعاب مغزى النص استيعابا جيدا، و حبّذا أن يكون المترجم قد عايش اللغة التي يترجمها أو التي ينقل منها لا في العمل الإبداعي فحسب، بل في مكان إبداعه و إنتاجه أيضا حتى تتسنى له معرفة الحالة الاجتماعية و الثقافية و السياسية التي أثَّرت في كيفية إبداعه و انعكست على تكوينه و بنائه قلبا و قالبًا.

و لقد كان ظهور لسانيات النصوص في الحقل الترجمي بمثابة اتجاه جديد كفيل بالإجابة عن التساؤلات التي طرحها المختصّون حول كيفية تحديد العلاقة بين اللسانيات و الواقع البراغماتي و طرائق تحليل الافتراضات الاجتماعية و العلمية التي ارتكزت عليها، فشجّعت البحث في قواعد اللغة المستعملة و خصائصها في إطار الطرح الجديد الذي يعتبر اللغة شكلا من أشكال التفاعل الاجتماعي.

و تشترك لسانيات النصوص و الترجمة في كونهما تواصلين لغويين يكتسبان طبيعة تعاقدية بين مرسل النص ومتلقيه و تختلف باختلاف أنواع النصوص. فبناء على نوع النص، يقوم المترجم بوضع استراتيجية تواصل خاصة و شاملة تمتد خارج المجال اللساني لتتيح التعامل مع البنى الكبرى (Les macro-structures) للإلمام بالمعنى من خلال النص و بالاعتماد على السياق علمًا بأنّ المتلقي نفسه يساهم في إنشاء ذلك المعنى استنادا إلى معارفه. و بذلك، شكّل التركيز على العامل التواصلي و على السبب و الغاية من إنتاج النص محورا هاما في هذه الدراسات سواء أكان ذلك في لغة واحدة أم بين عدّة لغات.

المراجـــــع

1. باللغة العربية

- ابن خلدون، عبد الرحمان، **المقدمة**، بيروت، الدار العصرية 2000.

- بصـــافي، رشـــيدة، **مقاربات في تعليمية الترجمة الفورية**، وهران، منشـــورات دار الغرب 2003.

- بيوض إنعام ، **الترجمة الأدبية مشاكل و حلول**، بيروت، دار الفرابي، 2003.

- زيتوني لطيف, **المسائل النظرية في الترجمة**, بيروت, دار المنتخب العربي 1994.

- كاري إدمون، **الترجمة في العالم الحديث**: ترجمة عبد النبي ذاكر،مخبر تعليمية الترجمة وتعدد الألسن، وهران, دار الغرب للنشر و التوزيع 2004.

- مونان جورج، **الترجمة و اللســـانيات**، ترجمة حســـين بن زروق، الجزائر، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية 2000.

2. باللغات الأجنبية

- CATFORD, J.C, *A linguistic theory of translation*, London, Oxford University Press, 1965.

- DE BEAUGRANDE, R & DRESSLER, W, *Introduction to text linguistics*, London & New York, Longman, 1981.

- ECO, Umberto, *De la littérature*, Paris, Editions Grasset & Fasquelle, 2003.

- EVEN-ZOHAR, I, *The Position of Translated Literature within the Literary Polysystem*, Poetics Today [11:1], 1990.

- GENTZLER, E, *Contemporary Translation Theories*, 2nd revised edition, Great Britain, The Cromwell Press Ltd, 2001.

- HALLIDAY, M.A.K / HASSAN, R, *Cohesion in English*, London & New York, Longman, 1976

- MUNDAY, J, *Introducing Translation Studies : theories and applications*, London & New York, Routledge, 2001.

- REISS, Katharina, *Möglichkeiten und Grenzen der Übersetzungskritik: Kategorien und Kriteren für eine sachgerechte Beurteilung von Übersetzungen*. Munich, Hueber, 1971 (tr.Ang : *Translation Criticism: The Potentials and Limitations. Categories and Criteria for Translation Quality Assessment*. St. Jerome Publishing Ltd, 2000).

- SNELL-HORNBY, Mary, *Translation studies : an integrated approach*, Amsterdam-Philadelphia, Benjamins, 1988.

- WUILMART, F, *La Fidélité en traduction à travers l'histoire*, Le Courrier International de la Francophilie, n◈ 5, 2e trimestre 2006.

الإحالات :

[2] كاري إدمون، الترجمة في العالم الحديث: ترجمة عبد النبي ذاكر ،مخبر تعليمية الترجمة وتعدد الألسـن، وهران، دار الغرب للنشر و التوزيع 2004، ص75-87.

[3] بصافي، رشيدة، مقاربات في تعليمية الترجمة الفورية، وهران، منشورات دار الغرب 2003، ص 150.

[4] EVEN-ZOHAR, I, *The Position of Translated Literature within the Literary Polysystem*, Poetics Today [11:1], 1990, pp. 45-51.

[5] MUNDAY, J, *Introducing Translation Studies : theories and applications*, London & New York, Routledge, 2001, pp.109-113

[6] GENTZLER, E, *Contemporary Translation Theories*, 2nd revised edition, Great Britain, The Cromwell Press Ltd, 2001, pp.107-109

[7] WUILMART, F, *La Fidélité en traduction à travers l'histoire*, Le Courrier International de la Francophilie, n° 5, 2e trimestre 2006, p.2

[8] زيتوني لطيف، المسائل النظرية في الترجمة، بيروت، دار المنتخب العربي 1994، ص ص 263-275

[9] بيوض إنعام ، الترجمة الأدبية مشاكل و حلول، بيروت، دار الفرابي، 2003، ص.32

[10] DE BEAUGRANDE, R & DRESSLER, W, *Introduction to text linguistics*, London & New York, Longman, 1981, p.184

[11] REISS, Katharina, *Möglichkeiten und Grenzen der Übersetzungskritik: Kategorien und Kriteren für eine sachgerechte Beurteilung von Übersetzungen*. Munich, Hueber, 1971 (tr.Ang : *Translation Criticism: The Potentials and Limitations. Categories and Criteria for Translation Quality Assessment*. St. Jerome Publishing Ltd, 2000)

[12] SNELL-HORNBY, Mary, *Translation studies : an integrated approach*, Amsterdam-Philadelphia, Benjamins, 1988, p.31

[13] المرجع نفسه

[14] HALLIDAY, M.A.K / HASSAN, R, *Cohesion in English*, London & New York, Longman, 1976

[15] Eco, Umberto, *De la littérature*, Paris, Editions Grasset & Fasquelle, 2003, p.13

[16] ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، بيروت، الدار العصرية 2000، ص.1064